

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ دُرُوسٌ وَعِبَرٌ

الحمد لله العلي الأعلى، أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليُرِيَهُ من آياته الكبرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، أいで ربُّه بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الساطعة،
وعلى الله وصحابه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فِيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

حادثة نتفياً ظلالها هذه الأيام، ويحتفي بها المسلمين عاماً بعد عام، يستلهمون منها الدروس وال عبر، وتذكرُهم بسيرة خير البشر، إنها ذكرى حادثة الإسراء والمعراج، افتتح الله بها سورة من سور كتابه الكريم فقال عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَّكَنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، لقد جمعت هذه الحادثة دروساً إيمانية وفكريّة، وتربيّة واجتماعية، يستضيء بها المسلم فكراً وعملاً، إنها توكل أن قدرة الله مطلقة، وأن الله لا يعجزه شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، إن العقل البشري ليس من السهل عليه أن يقتتن بهذه الحادثة، وقد تعود خلافها في نواميس الكون، فكيف يسير رجل من مكة إلى بيت المقدس ويخرج به إلى السماءات ويرجع في بعض ليلة، ولكن عندما يكون الخبر من الله، والأمر أمره، فإن المؤمن يقول: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، ولهذا فقد كانت هذه الحادثة العظيمة امتحاناً واختباراً لذوي الإيمان، هل يصدقون، أم يتلكّؤون ويتردّدون؟ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ يُتَرَكُوا أَنَّ

(١) سورة الإسراء / ١.

(٢) سورة بس / ٨٢.

(٣) سورة البقرة / ٢٥٩.

يَقُولُوا إِمَّا كَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾ .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ فِي الْحَيَاةِ شَدَادِ وَابْتِلَاءَاتٍ، وَمَحَنًا وَصُعُوبَاتٍ، يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُحْتاجًا إِلَى مَنْ يُعِينُهُ عَلَيْهَا، يُؤَازِّرُهُ فِيهَا وَيُخْفِفُ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ تَسْلِيةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَسْرِيَةً عَنْ قَلْبِهِ، وَقَدْ عَادَاهُ الْمُشْرِكُونَ وَآذَاهُ الْحَاقِدُونَ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزِيدَهُ إِيمَانًا، وَتَوَكُّلاً وَيَقِيناً، بِأَنَّ لَهُ رَبًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَضِيرُهُ عِنْدَهَا إِرْجَافُ الْمُرْجِفِينَ، وَلَا حَسْدُ الْحَاسِدِينَ، إِنَّهَا هَدِيَّةٌ قَدَّمَهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ أَحْوَاجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا، وَقَدْ تَوَالَتْ عَلَيْهِ الْأَحْرَانُ بِمَوْتِ عَمِّهِ الْمُسَانِدِ وَزَوْجِهِ الْمُخْلِصَةِ، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ الْهُمُومُ بِتَكْذِيبِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَفِي هَذَا دَرْسٌ فِكْرِيٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ الْفَرَجَ بَعْدَ الشَّدَّةِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، فَيَا مَنْ ابْتَلَى بِالْمَصَابِ، وَأَصَابَتْهُ الشَّدَّادُ: ثُقُّ بِرَبِّكَ وَأَيْقُنْ بِمَوْلَاكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَلَاصَكَ بِيَدِ اللَّهِ؛ فَاسْأَلُهُ كَشْفَ الْبَلَاءِ، مُخْلِصًا إِلَيْهِ الدُّعَاءَ، وَلَيْكُنِ الصَّبْرُ لَكَ صَاحِبًا، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ امْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثُلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرُزِّلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، مَنِ نَصَرَ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ فَرِبِّهِ» ﴿٢﴾ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ ابْتِداءَ الْإِسْرَاءِ بِمَسْجِدٍ وَانتِهَاءَهُ بِمَسْجِدٍ دَلِيلٌ عَلَى مَكَانَةِ الْمَسَاجِدِ وَأَهْمَّيَّتِهَا، فَهِيَ مَصْدِرُ هِدَايَةٍ وَنُورٍ، يَؤْمِنُهَا مَنْ عَمَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِالإِيمَانِ، «فِي يُوْتٍ أَذَنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَيِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ، رِجَالٌ لَا ثُلُثَيْهُمْ تَجْهَرُ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيَّالُ الزَّكُوْنِ يَخَافُونَ يَوْمًا نَنْقَلُبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

(١) سورة العنكبوت / ٣-٢ .

(٢) سورة البقرة / ٢١٤ .

وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾، وَالْمَسْجِدُ لَيْسَ مَوْطِنًا تُؤْدَى فِيهِ الصَّلَاةُ فَحَسَبُ، بَلْ لَهُ دَوْرٌ تَرْبُوِيٌّ وَاجْتِمَاعِيٌّ فِي مَفْهُومِ الْحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، إِذْ لَا قِيمَةَ لِحَضَارَةٍ تَذَهَّلُ عَنْ مَعَانِي الْعُبُودِيَّةِ، لِذَلِكَ جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ مَنَعَ بُيُوتَ اللَّهِ مِنْ أَدَاءِ دَوْرِهَا فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ، «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ، وَسَعَى فِي حَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَابِرِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَرْزٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ﴿٢﴾، هَذَا وَقَدْ انتَسَرَتْ فِي أَيَّامِنَا الْأَجْهِزَةُ الْمَهْمُولَةُ، فَأَصْبَحَ بَعْضُ النَّاسِ يَدْخُلُ بِهَا الْمَسَاجِدَ دُونَ إِغْلَاقِهَا، فَتُرْعَجُ الْمُصْلِينَ بِضَوْضَائِهَا وَضَجِيجِهَا، وَتُذَهِّبُ خُشُوعُهُمْ وَتُشَوِّشُ عَلَيْهِمْ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ بِغَيْرِهَا هُوَ خَارِجٌ مِّنْهَا؟ فَعَنْ أَبْنِ عُمَرَ (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ، وَهُمْ يُصْلِلُونَ وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُصْلِي يُنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَيَنْظُرْ بِمَ يُنَاجِيْهِ، وَلَا يَجْهَرْ بِعَضْكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَادْكُرُوا سِيرَةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَخُذُوا مِنْهَا الْعِظَةَ وَالْعِيْرَةَ، وَالْأُسْوَةَ وَالْقُدْوَةَ، وَرَاعُوا حُقُوقَ مَسَاجِدِكُمْ، وَعَوْدُوا أَبْنَاءَكُمْ احْتِرَامَهَا.

أَقُولُ قُولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْرَ رُسُلَهُ بِالْبَلَاغِ الْمُبِينِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْوَحْيِ وَالْبَرَاهِينِ، وَنَشَهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اخْتَارَهُ رَبُّهُ وَاصْطَفَاهُ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْخُلُقِ أَعْظَمَهُ وَأَوْفَاهُ، ﷺ وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(١) سورة النور / ٣٦-٣٨ .

(٢) سورة البقرة / ١١٤ .

أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَ اللَّهِ:

يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحْكَمِ التَّزَرِيلِ: «وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَىٰ ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمُوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^(١)، مُؤَكِّدًا سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ صَحَّةَ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَحُجَّيَّةَ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ عَبْرَ سُنْنَتِهِ الْمُطَهَّرَةِ، قَاطِعًا الشَّكَّ بِالْيَقِينِ بِأَنَّ مَا يَصِدْرُ عَنْهُ وَحْيٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ سِيرَتُهُ ﷺ أَزْكَى سِيرَةً، وَسَرِيرَتُهُ أَنْقَى سِيرَةً، دَاعِيًّا سُبْحَانَهُ لِلَّامْتَشَالِ لِأَمْرِهِ بِقَوْلِهِ: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ»^(٢)، وَالْمُتَمَعِّنُ فِي سِيرَتِهِ ﷺ يَجِدُ أَنَّهَا مِنْهَاجٌ حَيَاةٌ فِي مُخْتَلَفِ جَوَابِيهَا دُونَ مَشَقَّةٍ أَوْ تَعْقِيدٍ، مِمَّا يَسْتَدْعِي أَنْ يَقِفَ الْمُسْلِمُونَ أَمَامَهَا فِي كُلِّ عَصْرٍ وَفَقَةٍ تَفَكُّرٍ وَتَأْمُلٍ وَاغْتِيَارٍ، وَأَنَّ مَا تُعَانِيهِ الْإِنْسَانِيَّةُ الْيَوْمَ سَبَبُهُ الْخَوَاءُ الرُّوحِيُّ وَالْبُعْدُ عَنْ مَسَالِكِ الْقُدُوْرَةِ الصَّادِقَةِ وَمَنْهَاجِ رَسُولِ الْإِسْلَامِ ﷺ.

فَانْتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاسْتَتِرُوا بِهِدْيِ نَبِيِّكُمْ لِتَعْرِفُوا مَقَاصِدَ دِيْنِكُمْ، وَوَجَّهُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ فِي هَذَا الْطَّرِيقِ وَلِهَذِهِ الْغَايَةِ^(٣) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذِكْرَ اللَّهِ كَثِيرًا.

هَذَا وَصَلُوْا وَسَلَمُوا عَلَىٰ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَاهَا الَّذِينَ ءاَمَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا»^(٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسِلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ،

(١) سورة النجم / ١ - ٤ .

(٢) سورة آل عمران / ١٣٢ .

(٣) سورة الأحزاب / ٢١ .

(٤) سورة الأحزاب / ٥٦ .

وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلُّا مِنَّا لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَعَمَلاً صَالِحًا، وَعِلْمًا نَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا، وَيَقِينًا خَالِصًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَاجْمَعْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شُوَكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيَّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا وَكُلُّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».